آداب طالب العلم

كتبه

محمد بيومي

كتبة الإيمان المنصورة

ت 2257882

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علي من لا من نبي بعده.

وبعد؛ فإن الله تعالى قد رفع من قدر العلم والعلماء في آيات كثيرة من كتابه، فمن ذلك قولة تعالى:**{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [الأعراف:18].

قال ابن القيم في "مفتاح دار السعادة": استشهد سبحانه بأولى العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده.. وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

الثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

الثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

الرابع: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول...

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولى العلم وهذا يدل على اختصاصهم به وأنهم أهله وأصحابه...

السادس: أنه سبحانه وتعالى استشهد بنفسه وهو أجل شاهد ثم يختار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفاً.

السابع: أنه استشهد بهم على أجل مشهود به و أعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

الثـامن: أنـه سبحانه جعل شـهادتهم حجـة علـى المنكـرين، فهـم بمنزلة أدلته وبراهينه الدالة على توحيده.

وقـد وردت فـي السـنة أيضـاً أحاديـث كثيـرة فـي فضـل العلـم والعلماء، من ذلك

*عـن أبـي الـدرداء ﵁ قـال «**سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: مـن سـلك طريقـاً يبتغـي فيـه علمـاً سـلك الله بـه طريقـاً إلـي الجنـه، وإن الملائكة لتضع أجنحتهـا رضـاً لطالـب العلـم، وان العـالم ليسـتغفر لـه من في السماوات ومـن فـي الأرض حتـى الحيتـان فـي المـاء، وفضـل العلم على العابد كفضل القمـر علـى سـائر الكواكـب، وإن العلمـاء ورثـة الأنبياء، وإن الأنبيـاء لـم يورثـوا دينـاراً أو درهمـاً وإنمـا ورثـوا العلـم فمن أخذ أخذ بحظ وافر**» رواه أبـو داود والترمـذى وابـن ماجـه بسـند حسن.

من أهم فضائل العلم

قال الشيخ ابن عثيمين: العلم من أفضـل الأعمـال الصـالحة، وهـو من أفضل وأجل العبادات، عبادات التطوع، لأنه نوع مـن الجهـاد فـي سبيل الله، فإن دين الله - عز وجل - إنما قام بأمرين:

أحدهما: العلم والبرهان:

والثاني: القتال والسنان:

فلا بد من هذين الأمرين، ولا يمكن أن يقـوم ديـن الله ويظهـر إلا بهما جميعاً، والأول منهما مقدم علـى الثـاني، و لـهذا كـان النبـي ﷺ لا يغير على قوم حتى تبلغهم الدعوة إلـي الله - عـز وجـل - فيكـون العلـم قد سبق القتال...

ومن أهم فضائل العلم ما يلي:

1- أنه إرث الأنبياء، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام - لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ بالعلم أخذ بحظ وافر من إرث الأنبياء، فأنت الآن في القرن الخامس عشر إذا كنت من أهل العلم ترث محمداً ﷺ وهذا من أكثر الفضائل.

2- أنه يبقى والمال يفني، فهذا أبو هريرة ؓ من فقراء الصحابة حتى إنه يسقط من الجوع كالمغمى عليه، وأسألكم بالله هل يجري لأبي هريرة ذكر بين الناس في عصرنا أم لا ؟ نعم يجري كثيراً، فيكون لأبي هريرة أجر من انتفع بأحاديثه إذ العلم يبقي والمال يفني، فعليك يا طالب العلم أن تستسمك بالعلم، فقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو عمل ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» رواه مسلم.

3- أنه لا يتعقب صاحبه في الحراسة، لأنه إذا رزقك الله علماً فملحة القلب لا يحتاج إلي صناديق، فهو في القلب محروس، وفي النفس محروس، وفي نفسه فهو حارس لك، لأنه يحميك من الخطر بأذن الله عز وجل، فالعلم يحرسك، ولكن المال أنت تحرسه، تجعله في صناديق وراء الإغلاق، ، ومع ذلك تكون غير مطمئن عليه.

4- أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق، والدليل قوله تعالى:**{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ}** [آل عمران:18] فهل قال "أولو المال" ؟ لا بل قال:**{وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ}** فيكفيك فخراً

يا طالب العلم أن تكون ممن شهد الله انه لا إله إلا هو مع الملائكة الذين يشهدون بوحدانية الله عز وجل.

5- أن أهل العلم هم أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ}** [النساء:59] فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام، والعلماء وطلبة العلم، فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس وإلزام الناس بها.

6- أن أهل العلم هم القائمون على أمر الله تعالى حتى تقوم الساعة، ويستدل لذلك بحديث معاوية ﵁ يقول سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمه على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**». رواه البخاري. وقد قال الإمام أحمد عن هذه الطائفة «**إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم**». وقال القاضي عياض - رحمه الله - «**أراد أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب الحديث**».

7- أن الرسول علية السلام لم يرغب أحداً أن يغبط أحداً على شيء من النعم التي أنعم الله بها إلا على نعمتين هما:

- طلب العلم والعمل به.
- التاجر الذي ماله خدمة للإسلام.

فعن عبد الله بن مسعود - ﵁ - قال: قال رسول الله ﷺ «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها**» متفق عليه.

8- أنه طريق الجنه كما دل على ذلك حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلي الجنة**» رواه مسلم.

9- ما جاء في حديث معاوية ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:«**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**». متفق عليه. أي يجعله فقيهاً في دين الله - عز وجل - ، والفقه في الدين ليس المقصود به فقه الأحكام العملية المخصوصة عند أهل العلم بعلم الفقه فقط، ولكن المقصود به هو: علم التوحيد، وأصول الدين، وما يتعلق بشريعة الله - عز وجل - ولو لم يكن من نصوص الكتاب والسنة إلا هذا الحديث في فضل العلم لكان كاملاً في الحث على طلب علم الشريعة والفقه فيها.

10- إن العلم نور يستضيء به العبد ربه، وكيف يعامل عباده، فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة.

11- أن العلم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، ولا يخفي على كثير منّا قصة الرجل الذي من بني إسرائيل قتل تسعاً وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عابد فسأله هل له من توبة ؟ فكأن العابد استعظم الأمر فقال: لا. فقتله فأتم به المئة، ثم ذهب إلي عالم فأخبره أن له توبة وأنه لاشيء يحول بينه وبين التوبة، ثم دله على بلد أهله صالحون ليخرج إليها، فخرج فأتاه الموت في أثناء الطريق.. والقصة المشهورة. فأنظر الفرق بين العالم والجهل.

12- أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا، أما في الآخرة فإن الله يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلي الله - عز وجل - والعمل بما علموا، وفي الدنيا يرفعهم الله بين

عباده بحسب ما قاموا به. قال الله تعالى:**{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}** [المجادلة: الآية 11].

طلب العلم لابد له من التأدب بآداب، نذكر منها:

الأمر الأول: إخلاص النية لله -عز وجل-:

بأن يكون قصده بطلب العلم وجه الله والدار الآخرة؛ لأن الله حث عليه ورغَّب فيه، فقال تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ}** [محمد: الآية:19].

والثناء على العلماء في القرآن معروف، وإذا أثنى الله على شئ أو أمر به صار عبادة.

إذن فيجب الإخلاص فيه لله بأن ينوي الإنسان في طلب العلم وجه الله - عز وجل - وإذا نوى الإنسان بطلب العلم الشرعي أن ينال شهادة ليتوصل بها إلي مرتبه أو رتبة، فقد قال رسول الله ﷺ **«من تعلم علماً يبتغي به وجه الله - عز وجل - لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنه يوم القيامة»** - يعني ريحها - [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة بسند صحيح] وهذا وعيد شديد.

الأمر الثاني: رفع الجهل عن نفسه وعن غيره:

أن ينوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسه وعن غيره؛لأن الأصل في الإنسان الجهل، ودليل على ذلك قولة تعالى: **{وَاللّـهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [النحل: 78].

والواقع يشهد بذلك فتنوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسك وبذلك تنال خشيه الله: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء}** [فاطر، الآية: 28] فتنوي رفع الجهل عن نفسك لأن الأصل فيك الجهل، فإذا

تعلمت وصرت من العلماء انتفى عنك الجهل عن الأمـة ويكون ذلك بالتعليم بشتى الوسائل لتنفع الناس بعلمك.

الأمر الثالث: الدفاع عن الشريعة:

أن ينوي بطلب العلم الدفاع عن الشريعة؛ لأن الكتب لا يمكن أن تدافع عن الشريعة، ولا يدافع عن الشريعة إلا حامل الشريعة، فلو أن رجلاً من أهل البدع جاء إلي مكتبة حافلة بالكتب الشرعية فيها ما لا يحصى من الكتب، وقام يتكلم ببدعة ويقررها فلا أظن أن كتاباً واحداً يرد عليه، لكن إذا تكلم عند شخص من أهل العلم ببدعه ليقررها فإن طالب العلم يرد عليه ويدحض كلامه بالقرآن والسنة.

الأمر الرابع: رحابة الصدر في مسائل الخلاف:

أن يكون صدره رحباً في مواطن الخلاف الذي مصدره الاجتهاد؛ لأن مسائل الخلاف بين العلماء، إما أن تكون مما لا مجال للاجتهاد فيه ويكون الأمر واضحاً فهذه لا يعذر أحد بمخالفتها، وإما أن تكون مما للاجتهاد فيها مجال فهذه يعذر من خالفها، ولا يكون قولك حجة على من خالفك فيها؛ لأننا لو قبلنا ذلك لقلنا بالعكس قوله حجة عليك.

وأنا أريد بهذا ما للرأي فيه مجال، ويسع الإنسان فيه الخلاف؛ أما من خالف طريق السلف كمسألة العقيدة فهذه لا يقبل من أحد مخالفه ما كان عليه السلف الصالح، لكن في المسائل الأخرى التي للرأي فيها مجال فلا ينبغي أن يتخذ من هذا الخلاف مطعن في الآخرين، أو يتخذ منها سبب للعداوة والبغضاء.

فيجب على طلبة العلم أن يكونوا إخوة، حتى وإن اختلفوا في بعض المسائل الفرعية، وعلى كل واحد أن يدعوا الآخر بالهدوء والمناقشة التي يراد بها وجه الله والوصول إلي العلم، وبهذا تحصل الألفة، ويزول هذا العنت والشدة التي تكون في بعض الناس، حتى قد يصل بهم الأمر إلي النزاع والخصام، وهذا لا شك يفرح أعداء المسلمين والنزاع بين الأمة من أشد ما يكون في الضرر قال الله تعالى:**{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [الأنفال، الآية: 46].

وكان الصحابة - رضى الله عنهم - يختلفون في مثل هذه المسائل، ولكنهم على قلب واحد، على محبة وإتلاف، بل إني أقول بصراحة أن الرجل إذا خالفك بمقتضى الدليل عنده فإنه موافق لك في الحقيقة؛ لأن كلاً منكما طالب للحقيقة وبالتالي فالهدف واحد وهو

الوصول إلي الحق عن دليل، فهو إذن لم يخالفك ما دمت تقر أنه إنما خالفك بمقتضى الدليل عنده، فأين الخلاف ؟ وبهذه الطريقة تبقى الأمة واحدة وإن اختلفت في بعض المسائل لقيام الدليل عندها، أما من عاند وكابر بعد ظهور الحق فلا شك أنه يجب أن يعامل بما يستحقه بعد العناد والمخالفة، ولكل مقام مقال.

الأمر الخامس: العمل بالعلم:

أن يعمل طالب العلم بعمله عقيدة وعبادة، وأخلاقاً وآداباً ومعاملة؛ لأن هذا هو ثمرة العلم وهو نتيجته العلم، وحامل العلم كالحامل لسلاحه، إما له وإما عليه، ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال «**القرآن حجه لك أو عليك**» رواه مسلم.

لك إن علمت به، وعليك إن لم تعمل به، وكذلك يكون العمل بما صح عن النبي ﷺ بتصديق الأخبار وامتثال الأحكام، إذا جاء الخبر من الله ورسوله فصدقه وخذه بالقبول والتسليم ولا تقل: لم ؟ وكيف ؟ فإن هذه طريقة غير المؤمنين فقد قال الله تعالى:{**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا**} [الأحزاب:36] والصحابة كان النبي ﷺ يحدثهم بأشياء قد تكون غريبة وبعيدة عن أفهامهم، ولكنهم يتلقون ذلك بالقبول لا يقولون: لم ؟ وكيف ؟ بخلاف ما عليه المتأخرون من هذه الأمة، نجد الواحد منهم إذا حدث بحديث عن الرسول ﷺ وحار عقله فيه نجده يورد على كلام الرسول ﷺ الإيرادات التي تستشف منها أنه يريد الاعتراض لا الاسترشاد، ولهذا يحال بينه وبين التوفيق، حتى يرد هذا الذي جاء عن الرسول ﷺ لأنه لم يتلقه بالقبول والتسليم.

واضرب لذلك مثلاً ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فاستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» متفق عليه.

هذا الحديث حدَّث به النبي ﷺ وهو حديث مشهور بل متواتر، ولم يرفع أحد من الصحابة لسانه ليقول: يا رسول الله كيف ينزل ؟ وهل يخلو منه العرش أم لا ؟ وما أشبه ذلك لكن نجد بعض الناس يتكلم في مثل هذا ويقول كيف يكون على العرش وهو ينزل إلي السماء الدنيا ؟ وما أشبه ذلك من الإيرادات التي يوردونها، ولو أنهم تلقوا هذا الحديث بالقبول وقالوا إن الله - عز وجل - مستو على عرشه والعلو من لوازم ذاته، وينزل كما يشاء - سبحانه وتعالى - لاندفعت عنهم هذه الشبهة ولم يتحيروا فيما أخبرهم النبي ﷺ عن ربه.

إذن الواجب علينا أن نتلقي ما أخبر به الله ورسوله من أمور الغيب بالقبول والتسليم وأن لا نعارضها بما يكون في أذهاننا من المحسوس والمشاهد؛ لأن الغيب أمر فوق ذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة لا أحب أن أطول بذكرها، إنما موقف المؤمن من مثل هذه الأحاديث هو القبول والتسليم بأن يقول صدق الله ورسوله كما أخبر الله عن ذلك في قوله:**{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ}** [البقرة: 285]

فالعقيدة يجب أن تكون مبنية على كتاب الله وسنه رسوله، وأن يعلم الإنسان أنه لا مجال للعقل فيها لا أقول مدخل للعقل فيها، وإنما أقول لا مجال للعقل فيها، إلا لأن ما جاء به من نصوص في كمال الله شاهدة به العقول، وإن كان العقل لا يدرك تفاصيل ما يجب لله من كمال لكنه يدرك أن الله قد ثبت له كل صفات الكمال لا بد أن يعمل بهذا العلم الذي منّ الله به عليه من ناحية العقيدة.

كذلك من ناحية العبادة، التعبد لله - عز وجل - وكما يعلم كثير منا أن العبادة مبنية على أمرين أساسين:

أحدهما: الإخلاص لله - عز وجل -.

والثاني: المتابعة للرسول.

فيبني الإنسان عبادته على ما جاء عن الله ورسوله، لا يبتدع في دين الله ما ليس منه لا في أصل العبادة، ولا في وصفها، ولهذا نقول: لابد في العبادة أن تكون ثابتة بالشرع في هيئتها، وفي مكانها، وفي زمانها، وفي سببها، لابد أن تكون ثابتة بالشرع في هذه الأمور كلها.

فلو أن أحدا اثبت شيا من الأسباب لعبادة تعَّبد الله بها دون دليل رددنا عليه ذلك، وقلنا: إن هذا غير مقبول؛ لأنه لابد أن يثبت بأن هذا سبب لتلك العبادة وإلا فليس بمقبول منه، ولو أن أحداً شرع شيئاً من العبادات لم يأت به الشرع أو أتى بشيء ورد به الشرع لكن على هيئة ابتدعها أو في زمان ابتدعه، قلنا أنها مردودة عليك؛ لأنه لا به أن تكون العبادة مبنية على ما جاء به الشرع؛ لأن هذا هو مقتضى ما علّمك الله تعالى من العلم ألا تتعبد لله تعالى إلا بما شرع.

ولهذا قال العلماء إن الأصل في العبادات الحظر حتى يقوم دليل على المشروعية واستدلوا على ذلك بقوله: **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ}** [الشورى:21] وبقول النبي ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث عائشة - رضى الله عنها - **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»** رواه مسلم.

حتى لو كنت مخلصاً وتريد الوصول إلي الله، وتريد الوصول إلي كرامته، ولكنه على غير الوجه المشروع فإن ذلك مردود عليك، ولو أنك أردت الوصول إلي الله من طريق لم يجعله الله تعالى طريقاً

للوصول إليه فإن ذلك مردود عليه.

إذن فواجب طالب العلم أن يكون متعبداً لله تعالى بما علمه من الشرع لا يزيد ولا ينقص، لا يقول إن هذا الأمر الذي أريد أن أتعبد لله به أمر تسكن إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي وينشرح به صدري، لا يقول هكذا حتى لو حصل هذا فليزنها بميزان الشرع فإن شهد الكتاب و السنة لها بالقبول فعلي العين والرأس وإلا فإنه قد يزين له سوء عمله:**{أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء}** [فاطر: 8].

كذلك لابد أن يكون عاملاً بعلمه في الأخلاق والمعاملة، والعلم الشرعي يدعو إلي كل خلق فاضل من الصدق، والوفاء ومحبة الخير للمؤمنين حتى قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» متفق عليه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنه فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلي الناس ما يحب أن يؤتى إليه**» (رواه مسلم) وكثير من الناس عندهم غيرة وحب للغير، ولكن لا يسعون الناس بأخلاقهم، نجد عنده شدة وعنف حتى في مقام الدعوة إلي الله - عز وجل، نجده يستعمل العنف والشدة، وهذا خلاف الأخلاق التي أمر بها الله - عز وجل -.

واعلم أن حسن الخلق هو ما يقرب من الله - عز وجل - وأولي الناس برسول الله ﷺ وأدناهم منه منزلة أحسانهم أخلاقاً كما قال ﷺ «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً مني يوم القيامة أحسانكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**» قالوا يا رسول الله ! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال ؟ (المتكبرون) رواه الترمزى بسند حسن.

الأمر السادس: الدعوة إلى الله:

أن يكون داعياً إلى الله - عز وجل - يدعو في كل مناسبة في المسجد، وفي المجالس، وفي الأسواق وفي كل مناسبة، هذا النبي ﷺ بعد أن آتاه الله النبوة والرسالة ما جلس في بيته بل كان يدعو الناس ويتحرك، وأنا لا أريد من طلبة العلم أن يكونوا نسخاً من كتب، ولكني أريد أن يكونوا علماء عاملين.

الأمر السابع: الحكمة:

أن يكون متحلياً بالحكمة، حيث يقول الله تعالى:**{يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}** [البقرة: 269].

والحكمة أن يكون طالب العلم مربياً لغيره بما يتخلق به من الأخلاق، وبما يدعوا إليه من دين الله - عز وجل - بحيث يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله، وإذا سلكنا هذا الطريق حصل لنا خير كثير كما قال ربنا - عز وجل - :**{وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}**. [البقرة: 26].

والحكيم هو: الذي ينزل الأشياء منازلها، لأن الحكيم مأخوذ من الإحكام وهو الإتقان، وإتقان الشيء أن ينزله منزلته، فينبغي بل يجب على طالب العلم أن يكون حكيماً في دعوته.

وقد ذكر الله مراتب الدعوة في قوله تعالى:**{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** [النحل:125] وذكر الله تعالى مرتبة رابعة في جدال أهل الكتاب فقال تعالى:**{وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}** [العنكبوت: 46].

فيختار طالب العلم من أساليب الدعوة ما يكون أقرب إلي القبول، ومثال ذلك في دعوة الرسول ﷺ، جاء أعرابي فبال في جهة من المسجد، فقام إليه الصحابة يزجرونه، فنهاهم النبي ﷺ ولما قضى بوله دعاه النبي وقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، وإنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة، وقراءه القرآن**» رواه مسلم.

أو كما قال النبي ﷺ، أرأيتم أحسن من هذه الحكمة ؟ فهذا الأعرابي أنشرح صدره واقتنع حتى إنه قال «**اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً**».

وقصة أخرى عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بيْنا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: وأثكل أمياه! ما شانكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رايتهم يصمتونني، لكني سكت. فما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ! ما رأيت معلماً بعده أحسن منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**» رواه مسلم.

ومن هنا نجد أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة كما أمر الله - عز وجل -.

ومثال آخر أن النبي ﷺ رأى رجلاً وفي يده خاتم ذهب وخاتم الذهب حرام على الرجال، فنزعه النبي ﷺ من يده ورمى به، وقال «**يعمد أحدكم إلي جمرة من نار فيضعها في يده**» ولما انصرف النبي ﷺ قيل للرجل: خذ خاتمك انتفع به، فقال: والله لا آخذ خاتماً طرحه رسول الله ﷺ (رواه مسلم). فأسلوب التوجيه هنا أشد؛ لأن لكل مقام مقالاً، وهكذا ينبغي لكل من يدعو إلى الله أن ينزل الأمور

منازلها وألا يجعل الناس على حد سواء، والمقصود حصول المنفعة.

وإذا تأملنا ما عليه كثير من الدعاة اليوم وجدنا أن بعضهم تأخذه الغيرة حتى ينفر الناس من دعوته، ولو وجد أحداً يفعل شيئاً محرماً لوجدته يشهر به بقوة وبشدة، يقول: ما تخاف الله، ما تخشى الله، وما أشبه ذلك حتى ينفر منه، وهذا ليس بطيب؛ لأن هذا يقابل بالضد، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لما نقل عن الشافعي - رحمه الله - ما يراه في أهل الكلام، حينما قال: «**حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام**».

قال شيخ الإسلام: إن الإنسان إذا نظر إلى هؤلاء وجدهم مستحقين لما قاله الشافعي من وجه، ولكنه إذا نظر إليهم بعين القدر والحيرة قد استولت عليهم والشيطان قد استحوذ عليهم، فإنه يرق لهم ويرحمهم، ويحمد الله أن عافاه مما ابتلاهم به، أوتوا زكاءً وما أوتوا ذكاء، أو أوتوا فهوماً وما أوتوا علوماً، أو أوتوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء.

هكذا ينبغي لنا أيها الاخوة أن ننظر إلي أهل المعاصي بعينين: عين الشرع، وعين القدر، عين الشرع أي لا تأخذنا في الله لومة لائم كما قال تعالى عن الزانية والزاني:**{فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}** [النور: 2].

وننظر إليهم بعين القدر فنرحمهم ونرق لهم ونعاملهم بما نراه إلي حصول المقصود وزوال المكروه، وهذا من أثر طالب العلم بخلاف الجهل الذي عند غيره، لكن ليس عنده علم، فطالب العلم الداعية إلي الله يجب أن يستعمل الحكمة.

الأمر الثامن: أن يكون الطالب صابر على العلم:

أي مثابراً عليه لا يقطعه ولا يمل بل يكون مستمراً في تعلمه بقدر المستطاع، وليصبر على العلم، ولا يمل فإن الإنسان إذا طرقه الملل استحسر وترك، ولكن إذا كان مثابراً على العلم فإنه ينال أجر الصابرين من وجه، وتكون له العاقبة من وجه آخر، واستمع إلى قول الله - عز وجل - مخاطباً نبيه: **{تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}** [هود: 49].

الأمر التاسع: احترام العلماء وتقديرهم:

إن على طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم، وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلاً خطأً في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جداً لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين، ليتخذ منها ما ليس لائقاً في حقهم، ويشوشون على الناس سمعتهم، وهذا أكبر الأخطاء، وإذا كان اغتياب العامي من الناس من كبائر الذنوب فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر؛ لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره على العالم وعلى ما يحمله من العلم الشرعي.

والناس إذا زهدوا في العالم أو سقط من أعينهم تسقط كلمته أيضاً. وإذا كان يقول الحق ويهدي إليه فإن غيبة هذا الرجل لهذا العالم تكون حائلاً بين الناس وبين علمه الشرعي، وهذا خطر كبير وعظيم.

أقول إن على هؤلاء الشباب أن يحملوا ما يجري بين العلماء من الاختلاف على حسن النية وعلى الاجتهاد، وأن يعذروهم فيما أخطئوا

فيه، ولا مانع أن يتكلموا معهم فيما يعتقدون أنه خطأ، ليبينوا لهم هل الخطأ منهم أو من الذين قالوا إنهم أخطئوا ؟ لأن الإنسان أحياناً يتصور أن قول العالم خطأ، ثم بعد المناقشة يتبين له صوابه والإنسان بشر «**كل ابن أدم خطاء وخير الخطاءين التوابون**» رواه أحمد والترمذى وابن ماجه بسند حسن.

أما أن يفرح بزلة العالم وخطئه، ليشيعها بين الناس فتحصل الفرقة، فإن هذا ليس من طريق السلف.

وكذلك أيضاً ما حصل من الأخطاء من الأمراء، لا يجوز لنا أن نتخذ ما يخطئون فيه سلماً للقدح فيهم في كل شيء ونتغاضى عما لهم من الحسنات؛ لأن الله يقول في كتابه:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ}** [المائدة: 8].

يعني لا يحملنكم بغض قوم على عدم العدل، فالعدل واجب، ولا يحل للإنسان أن يأخذ زلات أحد من الأمراء أو العلماء أو غيرهم فيشيعها بين الناس، ثم يسكت عن حسناتهم، فإن هذا ليس بالعدل. وقس هذا الشيء على نفسك لو أن أحداً سلط عليك وصار ينشر زلاتك وسيئاتك، ويخفي حسناتك وإصاباتك، لعددت ذلك جناية منه عليك، فإذا كنت ترى ذلك في نفسك؛ فإنه يجب عليك أن ترى ذلك في غيرك، وكما أشرت آنفاً إلي أن علاج ما تظنه خطأ أن تتصل بمن رأيت أنه أخطأ، وأن تناقشه، ويتبين الموقف بعد المناقشة.

فكم من إنسان بعد المناقشة يرجع عن قوله إلي ما يكون هو الصواب، وكم من إنسان بعد المناقشة يكون قوله هو الصواب، وظننا هو الخطأ. «**فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضاً**» متفق عليه.

وقد قال النبي ﷺ **«من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنه فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلي الناس ما يحب أن يؤتى إليه»** وهذا هو العدل والإستقامة.

الأمر العاشر: التمسك بالكتاب والسنة:

يجب على طلبة العلم الحرص التام على تلقي العلم والأخذ من أصوله التي لا فلاح لطالب العلم إن لم يبدأ بها، وهي:

1- **القرآن الكريم:** فإنه يجب على طالب العلم الحرص عليه قراءةً وحفظاً وفهماً وعملاً به، فإن القرآن هو حبل الله المتين، وهو أساس العلوم، وقد كان السلف يحرصون علية غاية الحرص فيذكر عنهم الشيء العجيب من حرصهم على القرآن، فنجد أحدهم حفظ القرآن وعمره سبع سنوات، وبعضهم حفظ القرآن في أقل من شهر وفي هذا دلالة على حرص السلف - رضوان الله عليهم - على القرآن فيجب على طالب العلم الحرص عليه وحفظه على يد المعلمين؛ لأن القرآن يؤخذ عن طريق التلقي. وإنه مما يؤسف له أن نجد بعض طلبة العلم لا يحفظ القرآن، وهذا خلل كبير في منهج طالب العلم. لذلك أكرر أنه يجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن والعمل به والدعوة إلى إليه وفهمه فهماً مطابقاً لفهم السلف الصالح.

2- **السنة الصحيحة:** فهي ثاني المصدرين للشريعة الإسلامية، وهي الموضحة للقرآن الكريم، فيجب على طالب العلم الجمع بينهما والحرص عليهما، وعلى طالب العلم حفظ السنة، إما بحفظ نصوص الأحاديث أو بدراسة أسانيدها ومتونها وتمييز الصحيح من الضعيف، وكذلك يكون حفظ السنة بالدفاع عنها والرد على شبهات أهل البدع في السنة.

فيجب على طالب العلم أن يلتزم بالقرآن والسنة الصحيحة، وهما لـه - أي طالب العلم - كالجناحين للطائر إذا انكسر أحدهما لم يطر.

لذلك لا تراعى السنة وتغفل عن القرآن، أو ترعي القرآن وتغفل عن السنة، فكثير من طلبة العلم يعتني بالسنة وشروحها ورجالها، ومصطلحاتها اعتناءً كاملاً؛ لكن لو سألته عن الآية من كتاب الله لرأيته جاهلاً بها، وهذا غلط كبير، فلا بد أن يكون الكتاب والسنة جناحين لك يا طالب العلم، وهناك شيء ثالث مهم وهو كلام العلماء، فلا تهمل كلام العلماء ولا تغفل عنه؛ لأن العلماء أشد رسوخاً منك في العلم، وعندهم من قواعد الشريعة وأسرارها وضوابطها ما ليس عندك ولهذا كان العلماء الأجلاء المحققون إذا ترجح عندهم قول، يقولون إن كان أحد قال به وإلا فلا نقول به، فمثلاً شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله تعالى - على علمه وسعة اطلاعه إذا قال قولاً لا يعلم به قائلاً قال: أنا أقول به إن كان قد قيل به، ولا يأخذ برأيه.

لذا يجب على طالب العلم الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يستعين بكلام العلماء.

والرجوع إلى كتاب الله يكون بحفظه وتدبيره والعمل على ما جاء به؛ لأن الله يقول: **{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}** [ص الآية 29]، **{لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ}** وتدبر الآيات يوصل إلي فهم المعنى، : **{وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}**. والتذكر هو العمل بهذا القرآن.

نزل هذا القرآن لهذه الحكمة، وإذا كان نزل لذلك؛ فلنرجع إلى الكتاب لنتدبره ولنعلم معانيه، ثم نطبق ما جاء به ووالله إن فيه سعادة الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: **{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى**

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَـهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: الآيتان 124، 123].

ولهذا لا تجد أحداً أنعم بالاً، ولا أشرح صدراً، ولا أشد طمأنينة في قلبه من المؤمن أبداً، حتى وإن كان فقيراً، فالمؤمن أشد الناس انشراحاً، وأشد الناس اطمئناناً، وأوسع الناس صدراً واقرأوا إن شئتم قول الله تعالى:**﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾** [النحل الآية: 97].

الأمر الحادي عشر: التثبت والثبات:

ومن أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم التثبت فيما ينقل من الأخبار والتثبت فيما يصدر من الأحكام، فالأخبار إذا نقلت فلابد أن تتثبت أولاً هل صحت عمن نقلت إليه أو لا، ثم إذا صحت فتثبت في الحكم ربما يكون الذي سمعته مبيناً على أصل تجهله أنت، فتحكم أنه خطأ، والواقع أنه ليس بخطأ.

ولكن كيف العلاج في هذه الحال؟

العلاج: أن تتصل بمن نسب إليه الخبر وتقول نقل عنك كذا فهل هذا صحيح ؟ ثم تناقشه فقد يكون استنكارك ونفور نفسك منه أول وهلة سمعته لأنك لا تدرى ما السبب هذا المنقول، ويقال إذا علم السبب بطل العجب، فلابد أولاً من التثبت في الخبر والحكم، ثم بعد ذلك تتصل بمن نقل عنه وتسأله هل صح ذلك أم لا ؟

ثم تناقشه: إما أن يكون هو على حق وصواب فترجع إليه أو يكون الصواب معك فيرجع إليه.

الأمر الثاني عشر: الحرص على فهم مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ:

من الأمور المهمة في طلب العلم قضيه الفهم، أي فهم مراد الله - عز وجل - ومراد رسوله ﷺ، لأن كثيراً من الناس أوتوا علماً ولكن لم يؤتوا فهماً. لا يكفي أن تحفظ كتاب الله وما تيسر من سنة رسول الله ﷺ بدون فهم. لابد أن تفهم عن الله ورسوله ما أراده الله ورسوله، وما أكثر الخلل من قوم استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ورسوله فحصل بذلك الضلال.

وهنا أنبه على نقطة مهمة ألا وهي: أن الخطأ في الفهم قد يكون أشد خطراً بالجهل لأن الجاهل الذى تخطئ بجهله يعرف أنه جاهل ويتعلم، لكن الذي فهم خطأ يعتقد في نفسه أنه عالم مصيب، ويعتقد أن هذا مراد الله ورسوله، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة ليتبين لنا أهميه الفهم:

المثال الأول: قال الله تعالى:**{وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ}**:**{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ}** [الأنبياء الآيتان: 78، 79].

فضَّل الله - عز وجل - سليمان على داود في القضية بالفهم:**{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ}** ولكن ليس هناك نقص في علم داود:**{وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}**.

وانظر إلى هذه الآية الكريمة لما ذكر الله - عز وجل - ما امتاز به سليمان من الفهم، فإنه ذكر أيضاً ميزة داود عليه السلام،

فقال:**{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ}**. وذلك حتى يتعادل كل منها، فذكر الله ما اشتركا فيه من الحكم والعلم ثم ذكر ما امتاز به كل واحد عن الآخر.

وهذا يدلنا على أهمية الفهم، وأن العلم ليس كل شيء.

المثال الثاني: إذا كان عندك وعاءان أحدهما فيه ماء ساخن دافئ، والآخر فيه ماء بارد قارس، والفصل فصل الشتاء، فجاء رجل يريد الاغتسال من الجنابة، فقال بعض الناس: الأفضل أن تستخدم الماء البارد، وذلك لأن الماء البارد فيه مشقة؛ لأن النبي ﷺ قال «**ألا أدلكم على ما يمحوا الله بها الخطايا ويرفع به الدرجات، قالوا بلي يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره**» الحديث رواه مسلم.

يعني إسباغ الوضوء في أيام البرد فإذا أسبغت الوضوء بالماء البارد كان أفضل من أن تسبغ الوضوء بالماء المناسب لطبيعة الجو.

فالرجل أفتى بأن استخدام الماء البارد أفضل واستدل بالحديث السابق.

فهل الخطأ في العلم أم في الفهم ؟

الجواب: أن الخطأ في الفهم؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**إسباغ الوضوء على المكاره**» ولم يقل: أن تختار الماء البارد للوضوء، وفرق بين التعبيرين. لو كان الوارد في الحديث التعبير الثاني لقلنا نعم اختر الماء البارد. ولكن قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره**» أي أن الإنسان لا يمنعه برودة الماء من إسباغ الوضوء.

ثم نقول: هل يريد الله بعباده اليسر أم يريد بهم العسر ؟

الجواب: في قوله تعالى:**{يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة: الآية 185] وفي قول النبي ﷺ «**إن الدين يسر**»

رواه البخارى.

فأقول لطلبة العلم: إن قضيه الفهم قضية مهمة، فعلينا أن نفهم ماذا أراد الله من عباده ؟ هل أراد أن يشق عليهم في أداء العبادات أم أراد بهم اليسر ؟!

ولا شك أن الله - عز وجل - يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر.

فهذه بعض آداب مما ينبغي لطالب العلم أن يكون متأثراً بها في علمه حتى يكون قدوة صالحاً وحتى يكون داعياً إلي الخير وإماماً في دين الله - عز وجل - فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، كما قال الله تعالى: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}** [السجدة الآية: 24].

* * * * * * * *